في محاولة ابن شمس إلزام علماء أهل الحديث

بتجويز الاحتفال بالمولد!!

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فقد دفع إلي بعض الأفاضل وفقهم الله بهذا المقطع وطلب ردا عليه، وقد حاول فيه ذلك الغر السفيه تكلف ما يظنه إلزاما لمخالفيه الذين يسميهم بأدعياء السلفية، بأن يجوزوا الاحتفال بالمولد النبوي، اتباعا لما ادعاه إجماعا للعلماء المجمع على إمامتهم عندنا! فكرر في كلامه شبهات لو قلنا إن "طوب الأرض"، كما يقال عندنا في مصر، قد ردها عليه مرارا وتكرارا ونقضها عليه نقضا، ما بالغنا، والله المستعان!

قوله: "قلت: ما الذي يزعجكم بعيد المولد يا من تزعمون زورا أنكم سلفية؟ هل تقولون بدعة؟ إمامكم النووي قال إن البدعة ليست كلها ضلالة! بل منها ما هو حسن، ومستحب وواجب، وهو قول إمامكم العز بن عبد السلام وقول غيرهما!"

قلت وقد أجابك الناس على هذه الشبهة الواهية مرارا وتكرارا، وبينوا لك أن أصل هذه المقالة يوجد في كلام إمامك (الذي تذعن أنت لإمامته) محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وأنه مسلك لجمع من العلماء الثقات الأثبات في الجمع بين قوله عليه السلام "كل بدعة ضلالة" وقول عمر رضي الله عنه "نعم البدعة هذه"! فقد أخذ بعضهم من الجمع بين النصوص أن البدعة في العرف الشرعي على وجهين في الاصطلاح، أحدهما يكون مذموما شرعا، والآخر لا يكون كذلك! فالبدعة في اللغة هي كل ما يُحدث على غير مثال سابق! وقد ورد في النصوص كما ترى استعمالها على وجه مذموم واستعمالها على وجه مستحسن! ولهذا ظهر الخلاف بين العلماء فيما يدخل تحت هذا المعنى على وجه من وجوه الاصطلاح الشرعي، استهجانا أو استحسانا، على نوعين، خلاف بين علماء أهل السنة، وخلاف فيما بينهم وبين مخالفيهم. فأما أهل السنة، فاختلفوا هل نجيز استعمال اسم البدعة فيما لا يذم من المستحدثات المتعلقة بالدين أم لا؟ فريق قال البدعة قسم واحد، شرعا، كلها مذمومة لا تفريق فيها، فمن أحدث في الدين أمرا ليس منه فقد ابتدع وضل! وإذن فكلام عمر محمول على المعنى اللغوي لا الشرعي. وفريق قال بل البدعة في الشرع على معنيين، أحدهما مذموم والآخر لا يذم. فأما المذموم فهو ما لا يختلف أهل الحديث في كونه عبادة محدثة لا أصل لها، أو اعتقادا مخالفا لما كان عليه السلف، وأما الذي لا يذم، فيجري على نظير ما استحسنه عمر رضي الله عنه من إحياء لسنن قد زال المانع الشرعي من إتيانها، بعد أن كان قائما على عهد النبي عليه السلام وفي حياته، أو إحداث لأمور من جنس المصالح المرسلة التي تسهّل على المسلمين عبادتهم المشروعة وما شاكل ذلك. فقالوا هذا تجري عليه الأحكام التكليفية الخمسة، ولا إشكال في تسميته شرعا بالبدعة الحسنة، كما قال عمر رضي

الله عنه. فهذا خلاف سلفي، يرجع إلى الشافعي نفسه رحمه الله كما مر. وهو بين أهل السنة خلاف لفظي قطعا، هل يُقتصر في استعمال اسم البدعة الشرعي على ما هو مذموم شرعا فقط لقوله عليه السلام "كل"، أم يقال إن استعمال عمر رضي الله عنه يخصص ذلك العموم؟! فسواء هؤلاء أو أولئك فيتفقون على أنه لا يستحسن عمل أو قول يجب ذمه شرعا، ولا يذم عمل أو قول يجب استحسانه. ولعل الأحسن في هذا العصر خاصة، أن يقتصر في استعمال اسم البدعة الشرعي على المذموم فقط، وأن يحمل كلام عمر على الاستعمال اللغوي، تغليقا للذرائع.

وأما المخالفون من الصوفية المتأخرين ونحوهم، فاعتمدوا كلهم القول بأن البدعة الشرعية تجري عليها الأحكام الخمسة كلها، ثم توسعوا في استحسان بدع يجب عند جميع أهل الحديث ذمها، يقيسونها قياسا فاسدا على ما استحسنه السلف! فخلافنا مع هؤلاء ليس لفظيا أبدا وإنما هو خلاف حقيقي مؤثر في الأحكام الشرعية. ومن ذلك خلافنا معهم في حكم المولد النبوي! فنحن أهل الحديث ما بين أن نقول: المولد بدعة ونسكت، وكل بدعة ضلالة، وأن نقول المولد بدعة مذمومة من جنس ما حكم عليه النبي عليه السلام بأنه ضلالة، لا من جنس ما يكون بدعة حسنة شرعا! فعلى كلا القولين عندنا هذا الأمر مذموم مقبوح! وأما هم فيقولون: بل هو بدعة حسنة لا مذمة فيها ولا موجب للإنكار! فأين في كلام النووي رحمه الله أو حتى كلام العز بن عبد السلام في هذه المسألة ما يلزمنا بتجويز الولد؟؟! كلام فارغ!

قوله: "هل تقولون عيد المولد بنفسه بدعة ضلالة، قد نص إمامكم السيوطي أنه من البدع الحسنة"

قلنا ولم نزل نكرر حتى بحت أصواتنا، أننا لسنا كالرافضة، لا نقول بعصمة أئمة الدين، لكن هؤلاء الحمقى لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا! السيوطي، الذي هو إمام للمسلمين في علوم الدين وإن رغمت أنفك أنت وأصحابك وأتباعك، ليس قوله حجة في نفسه، كما أن غيره من أئمة السلف عندنا ليس قول الواحد منهم حجة في نفسه عندنا! وإنما الحجة فيما أجمع عليه المسلمون! حتى الصحابي الذي يتكلم بما لا يقال مثله بالرأي، إنما يجعل له حكم الرفع عند العلماء بشروط وضوابط، وليس أنه يكون حجة في نفسه بمجرد أن يصح سنده أو أن يوجد في كتاب من كتب السنة المأثورة!! ولا تلزم التهمة للصحابي إذا قلنا إن هذا الأثر أو ذاك مما يصح عنه هو مما لا يقال مثله بالرأي، ومع هذا فلا يكون له حكم الرفع، ولا يحتج به، كما بينا ذلك كثيرا أيضا، ولكن غلظت أفهامهم وثقلت نفوسهم عن قبوله! فعبارة "قد نص إمامكم" هذه يا سفيه، تحتج بها على الرافضة لا علينا! ونحتج نحن بها عليكم إلزاما لأنكم أمثالهم في محصول الأمر، وإن كنتم لا تصرحون باعتقاد العصمة!

قوله "هل تقولون قال شيوخنا هو بدعة محرمة؟ رد إمامكم ابن حجر على شيوخكم فقال ولا تصح فتوى من أفتى بأن الاحتفال بذكرى المولد بدعة محرمة"!

قلت فكان ماذا؟ إن صح هذا، فهو فيه مخطئ رحمه الله، ولا يغض ذلك من إمامته في الدين شيئا، ولا يلزمنا باتباعه فيما أخطأ فيه! والذي ألزمناه به هو وأتباعه في مثل هذا أننا قلنا: أنت تطالبنا باتباع من نسميهم أئمة لنا في حكم المولد النبوي، فنحن نطالبك بإظهار من إمامك ممن تأتم أنت بهم، الذي قال كما تقول: من أفتى بأن المولد بدعة حسنة، فلا يؤتم به في شيء من الدين البتة، ولا يسمى باسم الإمام أصلا؟؟ أليست هذه هي دعواك التي تريد التوصل إليها؟؟؟ تريدون أن تكونوا سلفيين كما تدعون، فلا تسموا هؤلاء بالأئمة في الدين وأنتم تخالفونهم في كذا وكذا وكذا، وتردون عليهم كذا وكذا! أليس هذا هو قصارى ما تريد؟؟ بلى!! فلنا إذن أن نسألك: من إمامك أنت في هذه الدعوى ومن سلفك؟ هلا أخرجت لنا ممن تسميهم أنت بأئمتك، أئمة السلف، من قال لا يكون إماما في الدين من أخطأ في مسألة من مسائل البدعة العملية أو الاعتقادية؟؟! هذا الكلام ألزمه به ناس كثيرون، ووصل إليه ذلك الإلزام ولم يزل مع ذلك يتلاعب ويتكلف ألوانا من الكذب والتحريف فرارا منه، من جنس ما هو معروف مشهور عن أهل الأهواء، والله المستعان!

وأنا والله أعجب من بعض الإخوة الذين لا يزالون إلى اليوم ينشرون الردود عليه وعلى صاحبه الخليفي، ومع هذا يتكلمون بما حاصله الامتناع من تفسيقهما واتهامهما بتحري الكذب والتحايل على الباطل بعدما تبين بطلانه! فرقة كل من له اتصال بأهل العلم الكبار في هذا العصر وله تتلمذ عليهم، من أيما فرقة من فرق المسلمين كانوا، يذمون طريقتهم ويشددون النكير عليهم، كيف لا يكون رؤوس هؤلاء أتباعا لأهوائهم، أصحاب كبر وغمط للحق واستعلاء على علماء الأمة؟؟ بعض الأفاضل الذين تفرغوا للرد على هذا الرجل وإسماع أتباعه كلام العلماء كشيخ الإسلام وغيره، لا يزالون إلى الآن يتورعون عن رمي القوم باتباع الهوى! يقولون إنما نترك ذلك للعلماء، وهذا من أصولنا! ونقول لهم غلط، الأمر فيه تفصيل! فإن قرائن اتباع الهوى وعلاماته إذا ظهرت وتجلت وتواتر نقلها بين المشتغلين بالرد على بعض المخالفين، وكانت بحيث لا تشتبه على طالب علم صغير، لم يجز أن يقال نترك اتهام القوم بالفسق وتعمد الكذب حتى يحكم به العلماء الكبار! هذه ليست طريقة شيخ الإسلام ولا طريقة السلف! صحيح إن من مطالبنا في الرد على هؤلاء أن نربي الطلبة الصغار من أهل الحديث على التورع عن الحكم على الأعيان بتفسيق أو بتكفير حتى يتحقق اليقين الذي تسد به عين الشمس كما يقال، لكن من مطالبنا المرعية والمعتبرة كذلك أن نبين لهؤلاء الطلبة أننا لا نرجو رجوع ابن شمس والخليفي للحق أصلا، وما لأجل هذا نرد عليهما إذا تكلفنا ذلك، فالأهواء طافحة عليهما طفحا، ولو كان لقاض شرعي تسلط عليهما، لكان له فيهما من التعزير والعقوبة ما يجب لأمثالهما! هذا مما لا ينبغي أن يشتبه على من يسمع الرد! صحيح إن تحري الرفق واجتناب السباب والشتم من شأنه أن يستجلب كثيرا ممن حسنت نياتهم وقصرت عقولهم عن درك مكمن الفساد في طريقة القوم، وهذا مطلوب قطعا، لكن هنا ميزان حساس يجب أن ينصبه طالب العلم عند تكلف الرد إذا تكلفه! فأنا لا أكون سابا للجاهل إذا رميته بأنه جاهل! وسياق الكلام وطريقة الأداء تؤثران قطعا في

وقع الكلمة على من تقال له، فإن الكلمة المفردة لا تنفرد بأداء معناها ومغزاها معزولة عن سياقها كما هو معلوم! وإنما أكون سابا له بها إذا أرفقتها بسباب صريح، وأديتها أداء الشتيمة التي يراد بها الازدراء والتنقيص! وحتى مع هذا، فقد يكون هذا مطلوبا في بعض المواضع، لا سيما عندما يكون المردود عليه منبتا مقطوعا تمام الانقطاع عن طريقة علماء الأمة، ويريد بكبر وغطرسة طافحة أن يجلس نفسه مجلس الحاكم عليهم جميعا عبر القرون!! هؤلاء يجب أن يجعلوا نكالا عند الرد عليهم، صيانة لمقام العلم الذي اعتدوا عليه، والعلماء والأئمة الذين أطلقوا فيهم ألسنتهم بالتفسيق والتكفير!! هذا هو الأصل في أمثالهم، ولكل أصل استثناءات كما هو معلوم، تقدر بقدرها وتراعى بضابطها.

أما أن يبقى بعض الأفاضل إلى الآن يقول عند الرد على ابن شمس والخليفي: أسأل الله أن يلهمك رشدك يا فلان إن كنت طالبا للحق، وأن يقصم ظهرك إن كنت طالب هوى، وقد أثبت عليه الكذب والتدليس والتحريف في الرد عليه مرارا وتكرارا، حتى صار لا يشتبه اتباعهما الهوى على كل بصير له عينان في رأسه، فهذا والله عجيب، ويشبه أن يكون من مقابلة خارجيتهم بالإرجاء، والله المستعان!

وأنا في الحقيقة أرجع ذلك التساهل، كما بينت ذلك من قبل، إلى طريقة بعض السرورية والحزبيين في الاستناد لكلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في التعامل مع مخالفيه، انتصارا لطريقتهم البدعية التمييعية في إظهار الموازنات في حق من تبين لعلماء أهل الحديث وجوب تنفير المسلمين منهم في هذا الزمان بدعوى الإنصاف! بل وبعضهم يزعم أننا قد خالفنا تأصيلات الشيخ فشددنا حيث لا ينبغي التشديد وأغلظنا حيث لا ينبغي الإغلاظ! يا هؤلاء ابن تيمية كان يناقش علماء كبار في عصره، كانت لهم الرياسة الدينية في البلاد، وكانت لهم الحظوة والمنزلة عند ولاة الأمور، وكانوا قد ورثوا تلك المخالفات والتأصيلات البدعية التي ردها عليهم، عن قرون من المشايخ والعلماء قبلهم، فما كان من عجب أن يتلطف وأن يحسّن الظن فيهم، على ما قد يلقاه منهم من غلظة وشدة في الرد عليه! أنا الآن لو أردت أن أرد على مخالفة وقع فيها رجل كشيخ الأزهر مثلا، فقطعا لن أرد عليه بنفس الطريقة التي أسلكها إن كان المردود عليه، المتلبس بنفس المخالفة، غرا من أغرار الإنترنت الذين عرفوا بمحاربة العلماء والاستخفاف بكل من له نسبة إلى العلم وأهله في هذا الزمان! هم كثيرا ما يقولون، وهذا من شبهاتهم التي رددت عليها كثيرا، يقولون نحن نظهر اتباع السلف ونعظم أئمتهم الأولين، كما لا ترونه عند الأشاعرة، فهلا عاملتمونا على الأقل كما تعاملونهم؟؟ وقد بينت أن مورد تلك الشبهة عندهم إنما هو فساد أصولهم في قضية التفريق بين القول والقائل! أنا قائل بكذا وفلان قائل بكذا، إذن أنا أحسن منه ديانة ولابد! مثل هذا لا يصدق عند أهل السنة وعند السلف إلا على العموم، لا على التعيين!! القائل بكذا سني والقائل بكذا مبتدع! هذا إطلاق عام! لكن عند النظر في أحوال المعينين يمتاز عند السلف وعند أهل الحديث كل معين بحسبه، بالنظر في قرائن حاله! فرب قائل بالمقالة السنية

يكون على التحقيق من أهل الأهواء الذين يحكم القاضي الشرعي بتفسيقهم بلا تردد، وقائل بمقالة بدعية في الاعتقاد، يكون في المقابل من أهل الله وخاصته، الذين تجمع الأمة سنيها وبدعيها عبر القرون على الترحم عليه والانتفاع بعلومه في الدين!! هذا على أصول السلف وأهل الحديث يقع ولا يمتنع، لكن عند هؤلاء الحمقى المنقطعين عن ميراث العلماء، لا يقع هذا ولا يمكن أن يقع! فلهذا طالبونا بأن نعاملهم كما نعامل الأشاعرة، لأن العبرة عندهم بالمقالات في مجردها لا بأحوال قائليها وبأسباب تلبسهم بها! وهذه يا إخوان ملكة لا تنال بمجرد قراءة الكتب أصلا، وإنما تنال وتحصل ويتشبع بها الطالب إذا طالت مجالسته للعلماء وطلبتهم، ومتابعته طريقتهم وسمتهم ومسالكهم في الحكم على الناس! هذا مما كان يأخذه تلامذة السلف عنهم بطول المخالطة والمجالسة، يتوارثه العلماء عبر القرون دون حاجة إلى تحريره مكتوبا على سبيل التفصيل، حتى شعر ابن تيمية رحمه الله في قرنه بظهور الداعي الشرعي إلى وضع ذلك التحرير المفصل، فكتب في ذلك كلاما يكتب بماء العين بل بماء الذهب رحمه الله تعالى. ومع ذلك فلا يزال الإنسان بحيث أنه إن لم يترب عند العلماء وطلبتهم فلن ينتفع بهذا الكلام أبدا ولن يصل أصلا إلى أن يسمعه ويعي ما فيه!

فنحن نقول للمتساهلين في الرد على هؤلاء المجرمين: عاملوهم على ما تقتضيه قرائن أحوالهم يرحمكم الله، فهي ظاهرة جلية لكل من له عينان!

لما ذهب ابن شمس من قريب لمعرض الكتاب في اسطنبول، وظن أنه سيدخله دخول الغزاة الفاتحين، وقوبل بالطرد منه هو ومن معه، استقبله أحد المتساهلين هؤلاء داخل المعرض، وعقد معه مجلسا سماه هو فيما بعد بمجلس المناصحة، أخذ يناقشه ويسأله ويجادله وكذا، بلطف وتودد، وكأنما ينتظر أن يسمع منه تراجعا عن جهله وضلاله على أثر المناقشة والله المستعان! فما الذي ترتب على ذلك؟؟ أن صار أتباع ابن شمس يقولون لمخالفيهم من السرورية انظروا، قد استقبله فلان وفلان بحفاوة وجالسوه مجالسه الند لنده، مع أنهم بموازينكم أنتم طلبة علم لا تشكون في سلفيتهم! وصار الواحد من هؤلاء يضطر فيما بعد لأن يخرج ويبين ويقول أنا إنما جالسته من أجل أن أنصحه!! يا رجل اتق الله! تناصح من وفي أي شيء؟؟ وهل قبل الرجل ممن أفاضوا عليه الردود المطولة التي تجمع في مجلدات من قبل، وعلى امتداد سنوات، وهو يسمعها ويقرأها في غرفته حيث لا يراه أحد، حتى يقبل منك كلامك أنت الآن في مجلس يحضره فيه غلمانه وصبيانه الذين جمعهم جمعا حتى يتمالأ بهم ويتكثر في قلب المعرض؟؟ هذا الذي سلكته معه يدل، في مجرده، على جهلك بطريقة السلف ومسالك العلماء في مثل ذلك، هداك الله! كان أمثال هؤلاء يُدفعون دفعا يطردون طردا، ولا يجالسون ولا يقابلون في طريق من الطرقات إلا جانبهم العلماء أتم المجانبة!! لماذا؟ لأنهم يقولون بمقالة كذا؟؟ لا والله! ولكن لأنهم قد صاروا رؤوسا في الانتصار لتلك المقالة الفاسدة بالكذب والتدليس وتحريف نصوص العلماء حتى بات ذلك أمرا مشهورا عنهم معروفا لا يخفى على ذي عينين! لا والله لا ننزل أمثال الخليفي وابن شمس حيث

ننزل العلماء المخطئين، الذين أجمعت الأمة على علمهم وفضلهم، بل ولا حيث ننزل طالب العلم الذي يظن به الخير حين يخطئ! هذه مسألة إن لم تكن ظاهرة لمن كان له قدر من طلب العلم ومجالسة العلماء والتربي على أيديهم فلا أدري كيف نظهرها له، والله المستعان!

قوله: "هل تعيبون على الصوفية الذين يحتفلون بالمولد كثرة الأكل فيه؟ إمامكم السيوطي أشاد بكثرة الطعام فيه! هل يزعجكم أن الصوفية المحتفلين بعيد المولد النبوي عندهم يرقصون؟؟ إمامكم العز بن عبد السلام تواتر عنه أنه كان يرقص! وإمامكم السيوطي ذم من عاب الرقص الذي يرقصه الصوفية والرجال! هل تقولون الصوفية عندهم بدع في المولد، يتبركون بمشايخهم وكذا؟؟ قال إمامكم ابن حجر بجواز التبرك بفضلات الصالحين الطاهرة! هل تقولون الصوفية يضربون بالدف وهذا لا يجوز؟؟ نقول: قال إمامكم الغزالي عن ضرب الدف إنه حلال!"

قلت: لا أسلم بصحة ما ينقله هذا الكذاب عن العلماء، ولا وقت عندي للرجوع إلى الكتب وتحري هل قال فلان بما يزعم أنه قاله أم لا، لكن الأصل واحد والجواب واحد، على التسليم بأنهم قالوه، وهو مقصودي من هذا الرد.

قوله: "فخلاصة الأمر: ليس أولئك المحتفلين بعيد المولد عندهم إلا متبعين لأئمتكم! ليسوا إلا متبعين لأئمتكم! فإن قلتم السلف لم يحتفلوا، السلف لم يقسموا البدعة، السلف السلف، فلا تضحكوا على أنفسكم، ولا تضحكوا الناس عليكم! واتركوها مكتومة!"

قلت: تقدم أنهم أئمتنا وأئمة المسلمين كافة وإن رغمت أنفك وأمثالك! ولا يمنعنا ذلك من أن نخالفهم فيما غلطوا فيه، رحمهم الله تعالى وغفر لنا ولهم، وأن نكون فيهم كما قال رب العالمين: ((وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)) [الحشر : ١٠]! وأما مسألة تقسيم البدعة فقد مر الكلام عليها.

قوله: "فمن الذي يجعل كلام السلف غير مفهوم؟؟"

قلت لم نجعل كلامهم غير مفهوم، وإنما أنتم من صيرتموه جهلا وحماقة وكلام عامة، لما صبغتموه بجهلكم وحماقتكم! ومن جديد نلزمك بإظهار سلفك من القرون المفضلة في نفي الإمامة الدينية في علوم الشريعة عمن وقع في أخطاء أو تلبس بشيء من البدع، بمجرد التلبس! أنتم صيرتم كلام السلف كلام عوام جهال لا يقوم على أصول وقواعد علمية رصينة قد حررها تلامذتهم والتزموها في السلوك والطريقة والمنهج من بعدهم، وراثة عنهم! وهذه والله جناية تكفي وحدها لجعلكم أبعد الطوائف المنتسبة إلى السلف عن طريقة السلف تحقيقا، أبعد من القطبية والسرورية، بل وأبعد حتى من الجهمية والمتكلمين!! إي والله! ولا يفهمن سفيه منكم أني أكفركم بذلك، ولا أستغرب أن تفهموا ذلك، فغلظة العقل والقلب تفعل بصاحبها الأعاجيب! وعلى أي حال فلو كفرت الحدادية على أنهم خوارج، وقلت هم طائفة مارقة من الدين بالكلية، فلي سلفي

في ذلك، ولكني لا أقوله، والله المستعان. أقول أنتم أبعد في أصولكم عن الجهمية وأهل الكلام، لأن طريقتكم يتسلط فيها العامي الجاهل على كتب السلف والأئمة الأقدمين، فيخرج منها ما يحلو له أن يزعمه مذهبا للسلف، بجهل وعامية في الفهم والتأويل والتوجيه، بينما المتكلمون على اختلاف فرقهم، يلتزمون بالجملة بأصول علمية موروثة، وإن كانت مدخولة مخلوطة بأصول فلسفية! إيتني اليوم بمتكلم أشعري معروف بين الناس، لم يمض في طلب العلم والأخذ من فنونه الموروثة عقدين أو ثلاثة أو أكثر!! لن تجد!! أنتم الفرقة الوحيدة في الأمة التي يجاز فيها للغلام الذي لم يحتلم، ولم يتعلم من العلم شيئا، أن يأخذ من كلام السلف كما يأخذ من مجلة ميكي، ثم ينزل كلامهم على العلماء والأئمة بكل سهولة، وإذا سئل قال بكل سذاجة وسخافة: كلام السلف واضح وليس طلاسم غير مفهومة، وأنا آخذ بهذا الواضح!! فهل زعمنا نحن أنه ليس بواضح؟؟ لا والله أبدا!! لكن واضح لمن، وكيف فهمه، وعمن أخذ فهمه هذا؟؟ هذه هي المسألة! ولماذا ننزل إلى كلام البشر، هذا كلام رب العالمين نفسه دونك، جل في علاه، كلام لا يماري مسلم في كونه واضحا تقوم به الحجة على كل عاقل! ومع هذا، فما أكثر من ضل في فهمه من طوائف المسلمين!! فلماذا ضل من ضل واهتدى من اهتدى؟؟ على طريقتكم يكون لكل صبي تعلم اللغة العربية في المدرسة، أن يفتح المصحف ويأخذ من القرآن فيقول: كلام الله واضح جدا، وأنا أعمل بكلام الله، وإن كان من أبعد الناس عن فهمه كما حقه أن يُفهم! ولهذا قلت من قبل وقال غيري: ما أهنأ أمثال إسلام بحيري بأمثالك يا ابن شمس!! فإن هذا بالضبط هو ما يفعله، وهو منتهى مشروعه! اتركوا تراث العلماء عبر القرون العشر الأخيرة، ودعونا ننظر بعقولنا في الكتاب والسنة، وإن شئتم ففي آثار الصحابة والتابعين التي تصح نسبتها إليهم! وبس! لا تصدعونا بالعلماء وإجماع العلماء وهذه الأمور!

فما أكثر من انتسب إلى كلام السلف والسلف منه ومن أمثاله براء!

قوله: "من الذي يجعل كلام السلف لا يفهم حتى يأتي متأخر ويشرحه"

قلت بل أزيدك من الشعر بيتا وأقول: لا يفهم كلام السلف كما يجب أن يفهم حتى يشرحه معاصر من العلماء، وليس متأخر وحسب!! لماذا؟ لأننا نؤمن بأن المعاصرين من أهل الحديث من العلماء الكبار، هم ورثة القرن الذي يسبقهم من علماء أهل الحديث، وهؤلاء هم ورثة من قبلهم، ثم من قبلهم، ثم من قبلهم، وصولا إلى السلف الأول الذي تنتسبون إليه! وهم لم يرثوا آثارا مجردة في صحائف مغلقة، اكتشفوها اليوم تحت صخرة ففتحوها ثم جلسوا ليحدثوا لأنفسهم فهما لها وتأصيلا مبنيا عليها من رؤوسهم وأكياسهم، ثم جاؤوا ليعلموه للناس، فجاز لكم أن تخالفوهم جملة وتستغنوا عن كلامهم في ذلك جملة، ترفعون ما عندكم عليه!! لا وربي! وإنما ورثوا علما وعملا وسلوكا وخلقا وسمتا ومنهجا وطريقة لا تورّث بتمامها إلا في مجالس العلماء! ورثوا ما في الأثر، وورثوا معه فهمه والعمل به وتوجيهه وتنزيله وضوابط ذلك، والقرائن المحتفة به عند من يروى عنه، مما لم يذكره الراوي في نفس الأثر من هذه الطريق أو تلك، وورثوا تمييز خطأ الواحد

منهم حيث أخطأ، وإصابته حيث أصاب، وما وافق فيه الإجماع في عصره وما خالفه، ورثوا آلة ذلك التمييز كاملة غير منقوصة، ما كان منها مدونا في الكتب وما لم يكن كذلك، أخذوه كله حيث يؤخذ العلم بدين الله تعالى، عند مشايخ عصرهم! كل عند مشايخ عصره!! هذه هي طريقة كل طالب للهداية عبر القرون، يلزم نفسه بالجلوس تحت أقدام مشايخ العصر ويصبر على ذلك لعله يفلح! هي الطريقة التي لا يرتضي المسلمون غيرها، كانت كذلك وستظل كذلك حتى تقوم الساعة، رضي من رضي وكره من كره، ومهما أغرقتنا شبكات التواصل الاجتماعي العصرية في وحل هؤلاء النوكى وأمثالهم!!

ثم أنت تقول من الذي شرط شرح المتأخر لكلام السلف حتى يفهم! فهل ترى نفسك من جملة المتقدمين مثلا؟؟ أنت في عين نفسك عالم من العلماء المتقدمين؟؟ أم تراك تزعم أنك جالست الإمام أحمد أو الإمام الثوري أو عبد الله بن المبارك، فجئتنا اليوم بما لا يقدر علماء هذا العصر على معرفته ولو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد؟؟ أنت معاصر معنا يا هذا، ولا تفضلنا في ذلك بشيء!! فلماذا وبأي عقل تطالبنا باتباعك وأنت مفارق لجميع علماء العصر قاطبة فيما تزعمه هو اعتقاد السلف وطريقتهم في معاملة المخالفين؟؟ أترك ورثة علم ابن تيمية وشراح كتبه من المعاصرين وأتبعك أنت لماذا؟؟ أترك شراح كتب ابن عبد الوهاب وتلامذته وأتبعك أنت فيما تزعمه الفهم الصحيح لكلام السلف بأي شيء؟؟ أترك جميع أهل العلم على اختلاف فرقهم وطوائفهم وآخذ منك أنت بأي شيء؟؟ أنت تجالس أئمة السلف في المنام مثلا؟؟ أم تراك جئتنا من عندهم في آلة الزمن؟؟ سبحان الله!!

قوله: "من الذي يجعل كلام السلف لا يؤخذ به إلا وفق كلام الخلف؟"! قلت لسنا ولله الحمد من جملة الغلمان سفهاء الأحلام الذين تضحك عليهم بمثل هذا الكلام! من الخلف؟؟ من تقصد بالخلف؟؟ إن كان المقصود بالخلف الجهمية وغيرهم من أهل الأهواء الذين عرف علماؤنا أحوالهم وبينوا ضلالهم، فقطعا لا يعتبر بكلام هؤلاء! وأما إن كان المقصود علماء أهل الحديث الذين هم تلامذة تلامذة السلف وحملة تراثهم في مجالس العلم، فقطعا لا يؤخذ بكلام السلف إلا وفق كلام هؤلاء، وجوبا وضرورة!! وإلا فنفهمه وفق كلام من إذن؟؟ كلامك أنت وغيرك من صبيان التيك توك؟؟ صدق وربي القائل:

هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وسامها كل مفلس!

قوله: "أولئك الصوفية رجعوا لفهم من تسمونهم أئمة وعلماء وعلماء الأمة المتفق عليهم أنتم تسمونهم هكذا فرجعوا إليهم وأخذوا بفهمهم لكلام السلف" قلت نعم، ولهذا نعذر الأكثرين منهم بجهلهم كما أعذرنا أولئك العلماء أنفسهم بالغلط في التأويل. هذه بلية اتبلى الله بها المسلمين اليوم، على مقتضى حكمته جل في علاه، فلا يكون الفرار منها بإسقاط أكابر الأمة الذين جعلهم الله طريقا لمعرفة دينه عبر القرون، ولا بلعن أوليائه الذين شهدت لهم الأمة بالولاية، وإنما يكون

بتبيين الحق مع إنزال الخلق منازلهم، على الطريقة السلفية الموروثة في ذلك! لا على طريقة هؤلاء الجهال، ولا على فهم أناس أجمع علماء العصر قاطبة على ضلالهم وخارجيتهم!!

قوله: "وتركوا فهم العلماء المختلف فيهم الذين أنتم تأخذون بقولهم وهم مختلف فيهم! اختلف أئمتكم في حكمهم! أئمتكم يقولون عن المعتقدات التي يعتقدها هؤلاء المشايخ أنها معتقدات مخرجة من الملة أصلا! فأولئك اتبعوا الأئمة المتفق عليهم، وأنتم اتبعتم المختلف فيهم! أولئك اتبعوا أئمتكم! ليش شادين على حالكم؟؟ أما نحن الذين نتبع السلف، فهو بدعة عندنا! هذا العيد بدعة عندنا! وبدعة على أصول أئمتنا! ابتدعها الرفضة ونشرها أئمتكم بين الناس! أئمتكم نشروها بين الناس!"

قلت: من جديد أقول لسنا صبية صغارا كأتباعك حتى يلتبس علينا الأمر بكلام كهذا! سأجيب عن هذه الشبهة الباردة بكلام موجز، غاية الوسع في الإيجاز، أزعم أنه تحرير لما اتفق عليه علماء أهل الحديث إجمالا، وأنا على يقين من أنه لو عرض على أي عالم من علماء السنة فسيقره بإذن الله تعالى، ومع هذا فأنا على نفس اليقين من أنه لو عرض على ابن شمس وغلمانه أو على الخليفي وأتباعه فسيعدوه ضربا من السفسطة والتفلسف، والله المستعان! جواب الشبهة أن يقال: قاعدة (١): الإمامة عندنا معاشر أهل السنة تتجزأ، كما هو الشأن عند المحققين من أهل العلم، خلافا للرافضة الذين يقولون بعصمة الإمام! قاعدة (٢): الإمام في باب من الأبواب، لا يلزم أن يكون كل ما حرره في ذلك الباب حقا مطابقا للواقع، لكن يكون مع ذلك أهلا لأن يقلده الناس، فإن قلده إنسان في خطئه، وكان بحيث أن غاية وسعه وطاقته أن يقلد، وهذا هو أوثق العلماء عنده، لم يضره ذلك يوم القيامة إن كان صادقا في تحري الحق، كما لا يضر الإمام المخطئ، مهما كان الخطأ في نفسه كبيرا عند أهل الحديث! قاعدة (٣) الظن فيمن اتخذته الأمة إماما في علم من علوم الشريعة أنه لا يتعمد الغلط قصدا ولا يتحرى الباطل وهو يعلم بطلانه! مثل هذا محال أن يضع له الله تعالى من القبول في الأرض ما يصير به إماما للناس في شيء من علوم الدين!! ولذا فلا يضر أمثال السيوطي وابن حجر والنووي وغيرهما ما خالفوا فيه، لأن الأمة قد أجمعت على الشهادة لهم برفيع الفضل وعظيم الشأن في الدين، فلا يظن بهم اتباع الهوى وإرادة الباطل، مهما قالوا بشيء من مقالات أهل الأهواء!

فبناء على هذه القواعد يأتي السؤال:

ما هو موضوع الاتفاق والاختلاف على الإمام من الأئمة المتبوعين عبر القرون عند أهل السنة؟؟ هنا يجب التفصيل. كل من صنف في علم من العلوم، وصار العلماء من بعده بحيث أنهم لا يستغنون عن كتبه وتأصيلاته في ذلك العلم، فهو إمام للمسلمين فيه. وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء. ولأن الإمامة تتجزأ، فليس كل من ثبتت له الإمامة في علم أو أكثر من علوم الشريعة، يلزم أن يكون إماما كذلك في العقيدة والمنهج لأهل الحديث! قد يكون بحيث يأتم به مخالفوهم، لكونه قد ظهرت له تصانيف وتأصيلات يأتم بها المخالفون كغلاة المتصوفة والمتكلمين وغيرهم

في تقرير عقيدتهم وفي الانتصار لها على المخالفين، فيكون هو إمامهم في العقيدة، فيما يزعمونه، إذن، هو اعتقاد السلف الأول، ويتأولون كلام السلف بما يوافقه! من هنا جاز أن يتفق أهل الحديث مع مخالفيهم على إمامة بعض الأئمة في علوم الدين، وأن يختلفوا معهم في بعضهم الآخر، ووقع ذلك كثيرا. فنحن مثلا، عندنا أن الدارمي إمام في العقيدة، كان في عصره من أعظم الناس انتصارا لاعتقاد السلف، بارز المبتدعة وصنف في ذلك التصانيف المشهورة وكذا! فهل يعترف المخالفون من أهل الكلام بإمامته؟ أبدا! وهذا لا غرابة فيه! هو رأس مخالفيهم فلا يكون إماما لهم! فهل نأتم به هو نفسه، الدارمي، نحن أو غيرنا، في علم الأصول مثلا؟ أو في الفقه؟ أبدا! لا نعرف له تصنيفا موروثا في تلك العلوم أصلا! فهو إمام في باب، وليس إماما متبوعا في غيره! ومع إمامته لأهل الحديث في العقيدة، فقد خالفوه في مسائل نبه عليها شيخ الإسلام رحمه الله في تصانيفه، فليس هو بمعصوم عندهم، وإن سموه إماما! وفي المقابل عندك الإمام ابن راهويه، مثلا، كان رحمه الله مجتهدا مطلقا باتفاق من ترجموا له، وكان له مذهب فقهي مستقل، أشبه بطريقة أهل الحديث، ومع ذلك لم يكتب الله له من الإمامة في الفقه نظير ما كتبه لأمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، رحم الله الجميع! لم يكتب لمذهبه من الخدمة ما كتب لهؤلاء. بل اندثر مذهبه لأن الولاة والقضاة لم يعتنوا به عنايتهم بالمذاهب الأربعة! فلا يوجد الآن من يعده إماما له في الفقه! ومع ذلك ما زلنا نسميه بالإمام، لماذا؟ لأنه كان ولم يزل رأسا للعلماء عبر القرون في علم الحديث والرجال، وإن كان لم يكتب له من الرياسة الباقية عبر القرون في الفقه ما كتب لغيره! وهذا كله نحن لا نقرره لفلان وفلان تشهيا، ولا بالنظر إلى ما أصاب فيه وما أخطأ! أبدا، وإنما نقرره بناء على دلالة العادة والحس! فلان يأتم به المسلمون فعلا في كذا وكذا، فهو إمام فيه! فالذي يقول فلان ليس إماما لي، لأني لا أراه من أهل القبلة أصلا، يقول ذلك بعدما أطبقت الأمة على الشهادة له بالإمامة والرياسة في بعض علوم الشريعة، هذا يحكم على نفسه هو بمفارقة سبيل المؤمنين قطعا، ولا يتضرر الإمام نفسه من كلامه بشيء، لا في الدنيا ولا في الآخرة! لا المسلمون سيتركون الائتمام بذلك العالم لكلامه، ولا سيكون بين يدي الله تعالى متهما بما اتهمه به ذلك الغر السفيه!

فنحن نقول الإمامة في العلم، إنما تثبت للعالم من العلماء، بدلالة الحس والعادة واضطرار العلماء للاعتراف بها له، فإذا ثبتت، فإنما تكون العبرة فيها بمن الذي يأتم به من المسلمين وفي أي شيء؟؟ هذا ما يدخله التفصيل. ويدخل في ذلك التفصيل، التخصيص بإمامة أهل الحديث في العقيدة والمنهج. فإنه ليس كل من نسبت إليه الإمامة في العقيدة بحيث يكون إماما فيها عند أهل الحديث! قد يأتم به مخالفوهم نعم لكن هم لا يأتمون به، وإن عدوه إماما في غير ذلك من أبواب العلم! فمن المسائل العلمية، أصولا كانت وفروعا، ما يتفق علماء الملة على اختلاف طوائفهم، على الائتمام بعالم معين فيها، ولا يختلفون عليه في ذلك، وإن اختلفوا في غير ذلك من أمره. ومن المسائل ما يختلفون على الائتمام فيه بعالم معين، نظرا لاختلاف فرقهم وطوائفهم في تلك المسائل! فمثلا، الأشاعرة لا يعدون ابن تيمية رحمه الله إماما لهم في العقيدة وإن اعترف كثير

منهم بفضله وعلمه إجمالا. فهو عندهم بحيث يأتم به مخالفوهم في العقيدة، فهو على هذا يكون إمام ضلالة في ذلك الباب عندهم. ونحن كذلك لا نعد الرازي رحمه الله إماما لأهل الحديث في العقيدة! هو عندنا إمام للمسلمين بعموم في علوم الآلة، وكتبه فيها لا تزال جزءا مهما من البناء العلمي لطلبة العلم عبر القرون، ولكن إذا طلبنا العقيدة، عقيدة أهل الحديث، لم نطلبها من تصانيفه في علم الكلام قطعا، وإن كانت تلك التصانيف مراجع أساسية للأشاعرة من بعده في ذلك الباب! فالاتفاق والاختلاف على إمامة المعين من علماء الملة هذا هو سببه إذا وقع! الائتمام في المسائل التي افترقت عليها الفرق والطوائف في الأمة! الجبائي والقاضي عبد الجبار هما أئمة في العقيدة عند المعتزلة، لأنهما أسسا المذهب تأسيسا، فهل يأتم بهما أحد في العقيدة غير هؤلاء؟ أبدا! نعم الأشاعرة لا يزال يبقى فيهم تأثر بأصولهم وكثير من مقالاتهم، لكن إذا سألت الأشعري من هم أئمة العقيدة عندك فقطعا لن يذكر هذين!

الصحابة كانوا بحيث يجتمع في العالم منهم، لا سيما الخلفاء الراشدين المهديين، يجتمع فيه الرياسة في جميع أبواب العلم ومنها العقيدة، وبحيث أنهم لا يختلف المسلمون عليهم في ذلك، لأنهم الصحابة رضي الله عنهم! منبع العلوم كلها في الدين! أحوالهم وأقوالهم أدلة بصورة ما أو بأخرى في جميع علوم الشريعة، ولا عجب!

فلما اتسع اختلاف الفرق والطوائف في القرون التي تلت قرن الصحابة، تجزأ الأمر! فصرت تجد رجلا من التابعين يقال عنه إنه قدري، كالحسن وقتادة مثلا، ويحذر الناس من متابعته على ذلك، ومع هذا يؤتم بهما فيما سوى ذلك، وتجد من يرمى بالتشيع (وليس الرفض) كذلك في الطبقات الأولى من التابعين، كعطية العوفي وفضيل بن مرزوق، وفي تابعي التابعين أيضا من رمي به، ولهذا احتاج أئمة القرون الأولى إلى تصنيف تلك الكتب التي يستطيل بها هؤلاء السفلة على الخلق! حتى تمتاز طريقة الصحب الأولين عما يخالفها في أبواب الاعتقاد والمنهج! فوضعوا التصنيف بحسب ما دعاهم إليه الداعي في عصرهم، وصاروا به أئمة في ذلك الباب لمن عاصروهم، دون أن ينكروا إمامة أمثال الحسن البصري وقتادة في العلم والدين بعموم بالنظر إلى ما خالفا فيه من ذلك! أي لم تكن المخالفة سببا في إسقاط أصل الإمامة عنهما فيما ورثه الناس! ثم لما تشعبت العلوم وتفرعت وكثرت المصنفات فيها، صرت تجد عالما يصدق فيه أنه إمام لأهل السنة وغيرهم في علم واحد أو أكثر من علوم الشريعة، ومع ذلك لا يأتم به في العقيدة والمنهج أحد قط، وربما يكون بحيث لا يقف له المسلمون على مصنف واحد مستقل في ذلك الباب، ولا يبحثون عن ذلك ولا يطلبونه، أعني مصنفا بحيث يجمع اعتقاده كله ويضع فرقانا فيه بين طريقة أهل الحق وطريقة أهل الباطل في ذلك الباب أصولا وفروعا، وإن استشهد طلبة العلم بشيء من كلامه الذي يوافقهم في الاعتقاد أحيانا، كما في أمثال النووي وابن حجر رحمهما الله تعالى، لعدم اشتغالهم بإفراد التصانيف في أصول الاعتقاد والرد على المخالفين فيه وهذه الأمور، وإن كان قد وقع شيء من ذلك في أثناء كلامهم في كتبهم، فهما من حفظة أهل الحديث

ومحدثيهم، وفي علوم الحديث وشروحه ظهرت إمامتهما، رحمهما الله تعالى، كما لم تظهر في غيرهما! وهي إمامة مجمع عليها لا ينتطح فيها كبشان!

وقد تجد الإمام من علماء الملة بحيث يأتم به المخالفون لأهل السنة في الاعتقاد لصيرورة بعض ما صنفه في ذلك الباب مرجعا لهم بخصوصهم في تقرير طريقة فرقتهم وحججهم التي يردون بها على المخالفين وكذا، كما ذكرنا، كما حصل مع أمثال الرازي والجويني والغزالي في المتأخرين، رحم الله الجميع! فنحن نسلم بإمامة هؤلاء في علوم الآلة، مثلا، ولا نستغني عن كتبهم فيها، لكنا مع هذا لا نأتم بهم، ولا يلزمنا أن نأتم بهم، معاشر أهل الحديث، في تقرير الاعتقاد! اعتقاد السلف الذي نراه واجبا على كل مسلم! لا يلزمني أن أتبع من كان لي إماما في أصول الفقه أو في علوم اللغة، مثلا، فيما يصل إلي أنه كان اعتقاده، لأنني لا أقول بعصمة كل من كان للمسلمين إماما في باب من الأبواب، بل ولا من كان لهم إماما في العقيدة، يعلمهم عقيدة أهل السنة ومنهج أهل السنة، يصنف فيها وينتصر لها على المخالفين ويترك في ذلك تراثا يتبعه عليه الناس، كما وقع في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله!

فعلى هذا الذي بينا، يتضح لكل لبيب منصف، فساد قول هذا الغوي الكذاب إنه يلزمنا التساهل مع المخالفين في مسألة المولد، لأنهم اتبعوا فيها أئمة مجمعا على إمامتهم، بينما نحن اتبعنا أئمة قد اختلف العلماء في إمامتهم!! مسألة التكثر بالأئمة الموافقين هذه قد نعذر بها الجاهل الذي لم تبين له حقيقة المسألة ولم تبين له أدلة أهل الحديث في نقض ما يتسدل به المخالفون فيها، ولم يبين له كذلك وجه حجية الإجماع عند من يحتج به! وهي شبهة يتذرع بها جهال الصوفية فعلا، يقولون أئمة الدنيا في العلم قد جوزوا ذلك، فكيف تستسيغون أنتم مخالفتهم؟؟ فنقول في جواب ذلك: هل تزعمون الإجماع على مشروعية الاحتفال بالمولد؟ إن زعمتم ذلك بينا لكم كذبكم بسهولة بفضل الله تعالى، إذ لم يزل يوجد عبر القرون من العلماء والأئمة في الدين من يستنكر ذلك، وإن قلوا! وليس من شرط مذهب أهل الحق في كل مسألة أن يكون بحيث أن أكثر أئمة المسلمين الكبار المتبوعين في علوم الشريعة يرونه ويقولون به! أبدا! وإنما من شرطه ألا تجمع الأمة على خلافه!

وهذا ما نرد به على زعم المخالفين أن ابن تيمية رحمه الله خالف الأمة وشذ عنها في كثير من المسائل، حتى في الفروع الفقهية! يقولون خالف الإجماع لأنه خالف المذاهب الأربعة المتبوعة! مع أنه قد شهد له الكافة بالاجتهاد المطلق رحمه الله، ولا يضر من كانت هذه منزلته ألا يتقيد بالمذاهب الأربعة في بعض المسائل، بل يرجح باجتهاده أن يكون الحق خارجا عنها كلها، أو عن معتمد أصحابها، وهذه قضية اختلف الأصوليون في جوازها خلافا لا يتسع له هذا المقام! فالذين اختلفوا في إمامة بعض من اتبعناهم نحن في هذه المسألة وخالفوهم هم، لا يضرنا خلافهم ولا يؤثر، لأن الإمامة في الاعتقاد عند أهل الحديث، العبرة فيها بإجماع أهل الحديث خاصة ولا يعتد بخلاف غيرهم كما هو واضح! وإن كنا قد نحتج عليهم بكلام من يشهدون هم لهم بالإمامة

في العقيدة إلزاما لا غير! ثم إن المسألة من البدع العملية على أي حال وليست من المسائل التي يرد فيها كلام رجل لأنه مخالف في الاعتقاد! وإن كان أكثر من تمسك بها هم الصوفية المتأخرون لغلوهم في محبة الرسول عليه السلام!

ثم في النهاية فنحن على أي حال لا نحتج على المخالفين في هذه المسألة أو في غيرها بإلزامهم باتباع فلان من الأئمة فقط، حتى يلزمَنا أن نتبع من أجمعت الأمة على إمامته! وإنما نحتج بالكتاب والسنة وأدلة الشريعة، جريا على فهم أئمة أهل الحديث وطريقتهم، فإن وجدنا ممن يشهدون هم له بالإمامة في العلم من يوافقنا في هذه المسألة، أوردنا عليهم كلامه إلزاما للمقلدين منهم بأن يخرجوا من تقليدهم، ويسمعوا ما جئناهم به من أدلة الحق، لا أننا ندفع به بين أيديهم ليكون هو الحجة التي نحتج بها عليهم! ليس في طوائف المسلمين لا من أهل الحديث ولا من الصوفية من يشترط على المسلمين ألا يأخذوا بقول في الدين قد قاله أئمة اختلف المسلمون في إمامتهم! أين يوجد هذا؟؟ لا يوجد! كل فرقة من الفرق والطوائف المنتسبة إلى القبلة لها في عقيدتها رؤوس عبر القرون، لا يوافقهم مخالفوهم على متابعتهم فيما صاروا به رؤوسا في العقيدة، وأئمة متبوعين! فهذا الإجماع المحتج به لا حجة فيه لا لنا ولا لمن يخالفوننا في أي مسألة!

والخلاصة أنه ليس كل الأئمة المتفق على إمامتهم في الدين إجمالا، قد اتفقنا على إمامتهم في العقيدة، وجريانهم فيها على طريقة أهل الحديث، وليس كل من كان إماما في العقيدة كان مصيبا في كل مسألة من مسائلها ولابد، وليس كل من اختلف على إمامته في العقيدة بين الطوائف والفرق، هو بحيث يهمل قوله في غيرها، ولا يعتد بخلافه البتة، وليس الحق في كل مسألة بحيث يكون هو ما عليه الأكثرون ولابد! هذه كلها قضايا لا يضبطها ولا يتقنها إلا من درس العلم عند أهله وطالت ملازمته لهم! أما أن يكون الرجل بحيث يتكلم بالإلزام بعد الإلزام وهو والله لا يدري أصلا معنى كلمة إلزام، وما وجه ذلك وضوابطه وشروطه ومقدماته، وما المعاني الاصطلاحية التي اتفق عليها العلماء عند الكلام في هذه الأبواب، فهذا والله من علامات الساعة، وإلى الله المشتكى والحمد لله أولا وآخرا.

أبو الفداء حسام بن مسعود